رواية «عودة الثائر» ليعقوب الخنبشي

نص سياسي بنبرة أدبية

محمد عيد العريمي

«عدت من غربتي الطويلة كما ذهبت، لا أملك من الحياة إلا أفكاري، وقناعاتي... عشته خارج حدود الوطن بطلا، ومتشردا، وجائعا، وشبعانا، وغنيا وفقيرا». و«عائدا إلى الرستاق.. لأعيش داخل وطني أناضل مع أفراد أسرتي كفافا للقمة الزاد».

بهاتين الجملتين استهل الروائي والقاص يعقوب الخنبشي روايته «عودة الثائر» وأنهاها، وبينهما ٢٨٠ صفحة من القطع المتوسط من اشتغال سردي طويل تضمن ١٧ فصلاً رقميا.

قبل الاستطراد في الحديث عن رواية «عودة الثائر» لا بد لي من الإشارة إلى أنني لست بصدد نقد الرواية.. لا لشيء سوى أني لا أجيد النقد ولا علاقة لي به، كما يجدر التنويه أنني وزعت الرواية إلى جزأين، حيث يبدأ الجزء الثاني من منتصف الفصل التاسع،وبالمصادفة المحضة توزعت صفحات الرواية الـ ٢٨٨ بالتساوي تقريبا بين الجزأين. هذا التقسيم لاوجود له على الورق وإنما محاولة مني الغاية منها وضع إطار يساعد على تصنيف وتحليل النص.

اختياري لسفر بطل الرواية إلى البحرين كبداية للجزء الثاني يُعزى إلى التطور النوعي الذي طرأ على أفكاره وقناعاته الشخصية نتيجة انفتاحه على الحياة السياسية والثقافية هناك.

■ سيرة السرد

النصف الأول من النص، في منحاه العام، «سيرة ذاتية» مطولة لمرحلة طفولة وصبا بطل الرواية/الراوي. استخدم الروائي تقنية السرد المعروفة بـ «الاسترجاع» التي تتيح للراوي حرية الانتقال بين أزمنة الأحداث وأماكن حضورها وبين ماضي صاحب السيرة وحاضره، وقد ظهر ذلك جليا منذ الصفحات الأولى حين بدأ السرد من حيث انتهى.

وظل الراوي أثناء استعراضه لمعطيات سيرته الذاتية يستحضر صورا من تاريخ مدينة «الرستاق» بكثير من العاطفة والفخر من خلال ما تكتنزه بعض مواقعها الأثرية والتاريخية كالقلاع والحصون من شواهد تنبض بالحياة على عظمة تاريخ المكان ودور المدينة في التاريخ العماني بوصفها عاصمة دولة اليعاربة، كقوله: «أعود بفكر مشوش إلى سيرة الأجداد والبطولات، وهي تحكي الشواهد العظيمة والكبيرة الضاربة بقدمها قدم التاريخ في هذه المدينة العظيمة»٢٠.

ويمهد الجزء الأول من خلال الخطاب الذاتي الذي تضطلع به لغة السرد لأحداث الجزء الثاني ولبناء شخصية البطل وتطورها وانعكاس ذلك على تطور أحداث الرواية وتنامي بنيتها الحكائية، فواقعة مقتل أبيه على يد رجال والي الإمام وبأمر منه، وأثر حديث جده في نفسه وهو لم يبلغ العاشرة

من عمره، عندما قدم له بندقية صغيرة من نوع «صمعه»، وقال له: «اليوم انته يا خلفان أصبحت رَجال وريث جدك وأبيك... الذي قتلوه ظلما وقهرا، لأنه وقف في حلقومهم مثل العظم»، بالغ الأثر في نفس الصبي وتكوين وعيه، حيث يقول: «شعرت أن جدي يعدني لما هو قادم»٣٣.

وتعزز إحساس خلفان سالم بظلم والي الإمام مشاهدة تنفيذ حكم الجلد في أحد فقراء الرستاق بجريمة بيع التبغ لإطعام أبنائه الجياع، وهو في سن الشباب، وكان له بالغ الأثر في تشكيل وعيه الوطني بضرورة مقاومة ظلم السلطة. «هممت غير مرة بتصويب بندقيتي تجاه الخادم، أو الوالي وقاضيه، وجلست، وأنا أغلي في داخلي، وأتحسر ألما على حالة الرجل» ٨٧.

ويتجلى وعي الشاب في هذا الموقف على حداثة سنه وتواضع ثقافته، عندما يدرك أن الظلم «يُشَرع» عند من نَصب نفسه متحدثا باسم الرب، ومنفذا لشرعه وعدله «كيف يعاقب الناس بهذه القسوة والجبروت باسم الدين وباسم الله؟»٨٩.

يصعب في هذا الجزء تجاوز مشهد استحضره الراوي لسهرة شبابية أبطالها مجموعة من شباب المدينة كان أحدهم خلفان، عندما خرجوا من المدينة ليلا مسلحين ومتسللين ليس بهدف القيام بعملية عسكرية، أو نصب كمين لعساكر الوالي، وإنما لحضور سهرة راقصة وماجنة إن صح النعت نجمتها شابة صغيرة تدعى «ليلى»، اتخذت من الرقص في الأماكن المظلمة على أطراف المدينة وسيلة لتحدي أهلها والتقاليد بحثا عن حياة مختلفة تمارس فيها حقها في الحياة التي تريدها.

المفارقة أن ظهور هذه الفتاة يتكرر لاحقا في البحرين مرة وفي الرستاق مرة أخرى بشكل مغاير لما كانت عليه حينما كانت تقدم جسدها سلعة لإثارة الغرائز في الزوايا المظلمة والمهملة من مدينة الرستاق بعد أن هربت من بيت ذويها، فسقطت في هوة المتعة الرخيصة حتى وجدت من انتشلها من عفونة الخرائب والنوم في العراء

كسائر أبناء عمان،سافر خلفان إلى البحرين بحثا عن فرصة أفضل لتحسين مستوى حياة أسرته، فيلتقي للمرة الثانية بليلى، التي تزوجت وجاءت إلى البحرين مع زوجها، والتي سمع منها ما لم يخطر على باله: «كيف لهذه المرأة أن تحس هذا الإحساس إذا لم تكن هناك أرض تستحق التضحية» ١٣٢.

انطوت فترة وجود خلفان في البحرين على تحولات جسام في شخصيته وقناعاته، فبعد لقائه بليلى وزوجها، أخذ يحضر الفعاليات الثقافية والسياسية في الأندية والتجمعات والجلسات المختلفة، حيث تعرف على قضايا الاستقلال والتحرر الوطني.

وكان لا بد له من العودة إلى الوطن، حيث يؤكد الأسباب التي عجلت بعودته: «يعصرني التفكير في مستقبل الناس، والفقر والجوع الذي يلاحقهم»، لكنه لم يرجع إلىعمان وحيدا وإنما تمكن من اقناع بعض الشباب الذين كانوا معه في معسكر التدريب بالعودة معه، و «تقاسمت هاجس الحكايات والحنين للوطن... وارتفعت وتيرة الرغبة الجامحة في العودة»٢٥٠.

فور عودته إلى عمان التحق خلفان سالم بحملة جيش الإمامة لإخضاع عبري قبل أن تحتلها القوات البريطانية، ثم اُبتعث إلى سوريا مع ٣٠ شابا للدراسة والتدريب العسكري. لم يقتصر وجود هؤلاء الشباب في سوريا على التدريب العسكري واستخدام الأسلحة الحديثة والتكتيكات العسكرية وعمل الكمائن، وإنما تأثروا بالمد القومي العربي الذي كان حينئذ في أوج حالته بعد ظهور جمال عبدالناصر زعيما ومنظرا للفكر العربي التقدمي.

بعد عامين من التدريب العسكري والتثقيف السياسي عاد هؤلاء الشباب إلى عمان، لكن الإمامة خذلتهم، «رفضت رغبتنا القوية في تكوين جيش وكتيبة دفاع، نُمَكنْ نحن العائدون من سوريا من قيادتها والتخطيط لها على غرار الجيوش الحديثة»١٧٤، فقرر خلفان تكوين مجموعة منتقاه من العائدين والانتقال إلى المواجهة المباشرة مع الإنجليز.

إثر تنفيذ عدد من عمليات التفجير يلقى القبض على خلفان ويسجن في بيت الفلج، ثم يفرج عنه! وبعد تعرض معسكرات الجيش والإنجليز للتفجيرات وعمليات عسكرية أخرى، يطارد خلفان سالم ويعتقل مرة ثانية ويسجن في قلعة الجلالي، ثم يعلن السلطان قابوس بن سعيد، بعد توليه مقاليد الحكم، الإفراج عن كافة المعتقلين.

وأخيرا يلتقي خلفان سالم بأحمد علي، فقد وصلته رسائله تدعوه للحضور إلى المصنعة على وجه السرعة، «تكلم الرفيق أحمد علي عن تنظيم سري مفترض لتوحيد الصف تحت قيادة واحدة»، واتفقوا على تشكيل قوة مقاومة بما توافر لهم من إمكانيات متاحة. لم يُخْفِ خلفان سالم منذئذ إعجابه بأحمد علي: «ألهبتني حماسته وهو يشعل شموع الأمل المنظم حيث تجلت الوطنية في أرقى معانيها»٢٠٤.

ورغم الإفراج عنه إلا أن جهاز الأمن شدد الرقابة على

يعقوب الخنبشي

عناصر الجبهة في كل مكان. ولتفادي الاعتقال تلقى أوامر من قيادة الجبهة بضرورة التصرف لمغادرة المصنعة. من هناك ذهب إلى الرستاق لوداع أهله، لكنه اضطر إلى الاختباء في أحد المنازل المهجورة بعد أن عرف أن صورته تنتشر على جدران المحلات داخل السوق وخارجه إلى جانب صور آخرين من المجموعة «الشيوعية»، كما أخذت أجهزة الأمن تطلق على كل معارض أو مطلوب في سياق حملتها للقبض عليهم، وحددت مكافآت مجزية لكل من يُبَلِّغ على أحدهم، لكن خلفان سالم تمكن من الوصول إلىالبريمي سيرا على الأقدام، ومن هناك سافر إلى المملكة العربية السعودية ومنها إلى اليمن، ووصل ظفار في نهاية المطاف. وهناك التقى بأحمد علي مرة ثانية، وأصبح أكثر قربا منه. في موسم الخريف الثاني، وصلت إلى مكتب الجبهة برقية عاجلة تفيد بضرورة حضوره بسرعة إلى بغداد، حيث التقى مرة أخرى بأحمد علي،الذي قال عنه: «الغائب الحاضر في حياتي وحياة جميع القيادات الثورية والذي يحمل الوطن في كل حركاته وسكناته» ٢٤٧.

في بغداد صدرت أوامر لخمسة من رجال الجبهة بدخول عمان والتوجه إلى الرستاق في إطار محاولة أخرى لمواصلة الكفاح المسلح في الشمال بينهم خلفان، وأحمد علي. « كان الرفيق أحمد أكثرنا تفاؤلا» حين قال: «علينا أيها الرفاق أن نصنع مصيرنا،ونواجهه بشجاعة مهما كانت العواطف عالية وقاسية». وعلى مشارف قرية الحزم، في ولاية الرستاق،تفاجأوا بنقطة تفتيش تابعة للجيش: «دارت بنا سيارات النقطة العسكرية، وأحاط بنا الجنودمن كل جانب». «تقدم أحدهم وبدأ بتفتيش ملابسنا الداخلية، وما أن وقعت يداه على أحمد علي في بداية الصف إلا وتلقى منه ركلة أبعدته مسافة مترين. وسط زخم الرصاص كشر الموت عن أنيابه، حين اخترقت عدة رصاصات صدر الشهيد أحمد علي، وسقط جاثما على ركبتيه». «تنهد بعمق وهو يلفظ أنفاسه وقال كلمته الأخيرة في وجهي: «لن يكون النصر الا بالتضحية يا رفيقي». يختار الموت أحيانا أفضلنا حين يختار الشهد»، بهذه العبارة يرثي خلفان سالم رفيقه أحمد علي، الذي أطلق عليه ذات يوم وصف «الحاضر الغائب» ٢٥٥.

تحت ستار الليل تمكن خلفان سالم من الهرب والاختباء مدة ثلاثة ايام متواصلة إلى أن دبر أمر خروجه من عمان مستخدما جوازا كويتيا مزورا. وفي جبال ظفار التقى بأرملة أحمد علي. «ماتت الكلمات على شفتي حين رأيتها لأول مرة في مقر الجبهة الشعبية» ٢٥٩.

ويدور بينهما هذا الحوار:

- أنا خلفان سالم

انتفضت ووقفت بسرعة خاطفة.

- الناجي الوحيد من العملية.

ارتبكت وسرعان ما ظهر ماء الحزن على عينيها.

- كنت انتظرك بفارق الصبر، لأعرف منك ما حدث.

-الله يرحمه كان من أشجع الرجال الذين عرفتهم في حياتي.

كان هذا اللقاء بداية لعلاقة عاطفية من نوع نادر.. جمع قلبيهما حبهما للشهيد أحمد علي.. زوجا ورفيقا، وشهيدا، ولكن سرعان ما نشأ بينهما حبهما الخاص، «أعدنا ترتيب خزانة الحب»، فتزوجا بعد أشهر واحتفلا بزواجهما وسط فرحة الرفاق.

أثناء وجوده هناك حضر خلفان سالم لأول مرة اجتماع اللجنة المركزية للجبهة الشعبية لتحرير عمان، وكانت الجبهة وقتئذ تمر بأسوأ حالاتها، بعد أن تخلى عنها كثير من قادتها وكوادرها وقواعدها، «تفاقمت الخلافات بين قيادات الثورة على مختلف الجبهات والتجمعات القيادية «٢٦٧.

وثق المؤلف في هذا الجزء ورصد باقتضاب شديد مسيرة الثورة التي اندلعت في جبال ظفار عام ١٩٦٥ ضد الإنجليز، وتصاعدت عملياتها العسكرية التي بلغت ذروتها بتحرير أكثر من ٨٠ في المائة من أرض المنطقة الجنوبية خلال السنوات الخمس الأولى من اندلاعها. كما سلط الضوء على التحولات الأيدلوجية التي تبنتها الثورة متأثرة بالحراك

الفكري والسياسي على ساحة العمل القومي العربي، والذي تميز بتحولات من مذهب فكري إلى آخر وانتماء عقائدي إلى غيره، فمن الناصرية والقومية إلى البعث والاشتراكية واليسار بشكليه المتحفظ والمتطرف.

واتخذ خلفان من خروجه من ظفار، بعد أن كاد يقع في فخ نصبه فريق من الذين انشقوا عن الصف وأصبحوا يصطادون رفاق الأمس ويسلمونهم لقوات الحكومة مقابل امتيازات ومكافآت مغرية، إشارة لنهاية المعارضة المسلحة في عمان، وخروج من تبقى من مقاتلي وقيادي الجبهة من ظفار، وتراجع الدعم العسكري الذي كانت تحظى به من قبل المعسكر الشرقي وبعض الدول العربية ذات التوجه القومي والاشتراكي، واقتصر هذا الدعم على مكاتب تمثيل يديرها ويرتادها بعض من تبقى من قياديي الجبهة وعناصرها، حيث يعبر خلفان سالم عن تلك المرحلة بما آل إليه حاله:«صار الترحال بين العواصم العربية قدري، وأنا أعيش يوميات من الترقب الغامض» ٢٥٤.

ما بعد قراءة النص

على الرغم من أن الراوي في الجزأين لم يتغير ولا أسلوب السرد أو لغته اختلفتا، إلا أن الحدث في الجزء الثاني اختلفت. ففي الجزء الأول أتاح المؤلف لنفسه أن يسقط سيرة ذاتية متخيلة على شخصية خلفان سالم، إلا أن ذلك لم يعد ممكنا في الجزء الثاني، فلقد كان الكاتب مدركا أنه يوثق جانبا من تجربة سياسية ونضالية مسلحة (الثورة في عمان والخليج العربي) معروفة أحداثها ومسيرتها ورموزها، وما حققته من انتصارات ومكتسبات وما واجهته من هزائم وإخفاقات، وأن عليه الآن أن يسمي الأشياء بأسمائها ويذكر أسماء أبطالها وقادتها.. لاسيما وأنه تحول من شخصية افتراضية إلى شخصية حقيقية، ومن راوي ذاتي إلى راوي مشارك، وإن احتفظ بالاسم نفسه.

تأكيدا لواقعية الأحداث في هذا الجزء، كان الروائي حريصا على استحضار الكثير من المشاهد الحقيقية التي لاتزال حية على ألسنة الناس وبعض شخوصها أحياء يرزقون سواء من أسس لقطيعة مع ماضيه وأعابه أو من لاذ بالصمت وانشغل بتوفير متطلبات المعيشة لأسرته بعد عودته إلى الوطن مستفيدا من العفو الذي أصدرته القيادة السياسية في عمان، وأهمها واقعة «كمين الحزم» وما ترتب عليها من اعتقالات واعدامات في الشمال، وخلافات وإعادة حسابات وتغيير ولاءات في الجنوب والتي أرخت لهزيمة الثورة عسكريا.

نص سياسي بنبرة أدبية

يقول الدكتور جمعان بن أحمد الغامدي، في دراسة له بعنوان «السجن السياسي في الرواية العربية»: «الرواية السياسية بمعناها الخاص لا تكون إلا بمضمون حدث في الواقع، فتكون في هذه الحالة أقرب للعمل التوثيقي والتاريخي منها للمنتج الأدبي، والرواية لا تكون رواية بالمعنى العام بدون خيال. ما يقوم به الروائي المبدع هو عملية التوفيق بين جفاف المادة التوثيقية وجمال المادة الخيالية.»

بناء على هذه الرؤية، يمكن القول أن مؤلف رواية «عودة الثائر»، في جزئها الثاني، استطاع أن يحقق كافة الشروط المطلوبة لرواية سياسية مكتملة الأركان من حدث وتوثيق ورموز، كما حفلت الرواية بالكثير من الصور الخيالية التي لا يستوي النص الروائي بدونها.

على الرغم من مأساوية الأحداث: استشهاد أحمد علي، وإصابة بقية «رفاقه»، ثم إعدامهم مع آخرين غيرهم، وتراجع القناعات بمبررات مواصلة العمل العسكري بين بعض كوادر الجبهة في ظفار بعد أن حققت الدولة معظم المطالب التي كانت وراء قيام «جبهة تحرير ظفار»، والتصفيات التي شهدتها الجبهة في المناطق المحررة، وتعثر محاولات الجناح الشمالي تخفيف الضغط عسكريا على جبهة الجنوب ومن ثم هزيمة الثورة عسكريا وانسحاب من تبقى من قادتها وكوادرها،إلا أن السرد في الجزء الثاني كان قويا من حيث الحدث وجميلا على مستوى الصياغة، وحافظ الكاتب على النبرة الأدبية للنص المتخم بالهم السياسي، ولم يسقط في فخ الأسلوب المقالي الذي تكتب به مثل هذه المواضيع.

وتميز الخطاب الروائي في هذا الجزء ببنية سردية حكائية تكشف عن قدرة واضحة في تحقيق تماسك بنيتها الصاعدة، وفي بناء شخصياتها وتطورها وانعكاس ذلك على تطور احداث الرواية وتراكم الحكي.

الحاضر الغائب

الرواية السياسية بنوعيها المتخيل والواقعي لا تكتسب جاذبيتها ولا تكتمل إلا بوجود شخصية المناضل السياسي الافتراضي أو الواقعي، كالثورات التي لا تتحقق إلا بوجود

القائد الرمز الذي تجتمع عليه الآراء، والذي تختزن شخصيته الكثير من الدلالات والبطولات، وأحيانا المبالغات. والمناضل السياسي الرمز ليس مجرد شخصية عابرة، وانما هو كما في الواقع رمزا للنضال والكفاح المسلح، لهذا استحضر المؤلف شخصية «أحمد علي»، وأحاطها في البداية بشيء من الغموض، وكان ظهورها في الخطاب الروائي باهتا طوال الجزء الأول باستثناء بعض الإشارات الغامضة التي ساهمت في التشويق لمواصلة القراءة.

استحضار المؤلف لشخصية «أحمد علي» لم يأتِ من خلال راوٍ عليم، فالراوي الآن يسرد قصة ترتبط بحدث حقيقي معروف على نطاق واسع، بلسان راوي كان مشاركاً في الحدث، وهو امتداد لبطل الجزء الأول لكنه الآن هو شخص حقيقي يروي قصة حقيقية أبطالها معروفون وهو أحدهم وليس أبرزهم.

على الرغم من حضوره القصير في النص، إلا أن شخصية «أحمد علي» الحقيقية ليست شخصية عابرة في مسيرة الثورة في عمان، فقد أصبح المناضل السياسي الرمزيين رفاقه والمتعاطفين مع الثورة، وذلك من خلال حضوره في مسيرة الثورة منذ تأسيس جبهة تحرير ظفار وقيادته السياسية والعسكرية في شمال عمان، وتمثيله لها في «الحركة الشعبية الثورية» التي تعد حينئذ قائدة النضال في الخليج كله. ولا زالت بطولته في عملية الحزم حين تصدى للرصاص بصدر مفتوح لإتاحة الفرصة لرفاقه للانسحاب تتردد بصيغ مختلفة بين الناس، ونال ببطولته واستشهاده مكانة عالية جدا بين الثوريين في الخليج والجزيرة العربية حتى بات البعض يعتبره «جيفارا الخليج العربي».

كشف «الراوي» من مقاربة شخصيته من شخصية «أحمد علي» بل أنه، كما بدا لي، تقمص شخصيته بعد استشهاده، وكأنه يؤكد لنفسه ولرفاقه ولنا نحن «المروي لهم»أن أحمد علي وإن «غاب» جسدا إلا أنه «حاضر» روحًا وفكرا وبطولة من خلاله. وتجسد ذلك في عدد من الحالات لعل أهمها زواجه من أرملته!

على خلاف كثير من رجال تلك التجربة، الذين رجعوا إلى عمان مستفيدين من دعوة السلطان قابوس لهم بالعودة على قاعدة «عفا الله عما سلف»، فضل «خلفان سالم»البقاء في موقعه معارضا سياسيا، بعد هزيمة الثورة عسكريا في جنوب عمان وشمالها، وقال عن رفاقه الذين قرروا العودة إلى أرض الوطن: استسلموا لنداءات «العودة» وهرعوا إلى باب العفو كما تهرع الجمال نحو مراحلها»، وفي الصفحة نفسها يصف «العفو» باللاعودة إلى قناعاتي وأفكاري»٢٨٢.

وعندما أجبرته ظروف الترحال وشح المال على العودة، ظل محتفظا بقناعاته وأفكاره، وكان أقوى من أن يخضع لشروط الأمر الواقع، ففي نقاشه مع رجل الأمن الذي نقله إلى الرستاق عبر عن قناعاته بكل جرأة «علينا أن نوفر العدالة الاجتماعية لأنها كف يطرق باب الواقع، الحرية الحقيقية يا ولدي لا يمكن تجزئتها» ٢٩٧.

إن صلابة هذا الرجل وتمسكه بمبادئه لا يتميز بها إلا رجال استثنائيون وتأتي منسجمة مع شخصية «خلفان سالم» الحقيقية، الذي ظل وفيا لرفيقه « أحمد علي» ومفتونا به في مماته كما في حياته إلى درجة أنه سمع صوته من داخل الأرض يقول له: «أنا هنا أرقد بسلام وطمأنينة، وأن الزمان كفيل بإيضاح السجلات التي أريد لها أن تختفي» ٣٤.

استحضار مواجهة مسلحة بين الجيش وأفراد خلية مسلحة تابعة للجبهة الشعبية، في قريبة الحزم بولاية الرستاق، أضفى على البنية الحكائية واقعية، ولم يكن بوسع الروائي غير أن يضع الناجي الوحيد من هذا الكمين في موضع «الراوي»، بغض النظر عن طبيعة السرد ومدى ملامسة أحداث الرواية قبل ذلك للحقيقة. وبهذا أعلن المؤلف علاقة الاسم الحركي «خلفان سالم» بالشخصية الحقيقية للراوي، الذي يشير دون بذل جهد إلى الناجي الوحيد من معركة الحزم، والذي ذكر رفاقه الأربعة بأسمائهم الحقيقية باستثناء «أحمد علي»: «كنت أجلس إلى جانب منصور الهنائي، وكان يجلس خلفي أحمد علي، ويتوسط الكراسي حسن مكي (محمد حسن مكي) في حين يجلس الرفيق سعود المرزوقي جهة النافذة خلف»٢٥٠.

ولم يذكر المؤلف الاسم الخامس الناجي الوحيد، الذي تدبر أمور هربه بعد العملية إلى خارج عمان مستخدما جوازا كويتيا مزورا، فقد استشهد من المجموعة أحمد علي، وألقي القبض على سعود المرزوقي ومنصور الهنائي جريحين في الموقع، وتمكن محمد حسن مكي من الهرب، إلا أنه ألقي القبض عليه لاحقا، وأعدموا الثلاثة مع آخرين من رفاقهم.

ارتباط الراوي بشخصية أحمد علي وحضوره القوي في نفسه، تجلى في إصراره على البحث عن قبر رفيقه الذي يدين له بحياته، قبل رؤية عائلته أو زيارة قبر جده أو زوجته الأولى شمسه. فبعد احتجازه في مطار السيب الدولي فور وصوله أرض الوطن وتكبيله، وأخذه إلى مكان مجهول للتحقيق معه، الذي استمر لمدة ٢٠ يوما أو أكثر، أفرج عنه ونقل في سيارة الأمن إلى مسقط رأسه «الرستاق»، وبدلاً من أن يطلب من ضابط الأمن الذي رافقه التوقف امام بيته، طلب منه التوجه إلى سفح الجبل الذي يحتضن جسد أحمد علي «عندما قتل في ليلة من ليالي تاريخ الصمود، ودفن في هذا المكان دون معرفة أحد من أفراد أسرته» ٢٣.

سقوط المحظور

إن مجرد السماح بتوزيع الرواية في معرض مسقط الدولي للكتاب مؤشر إيجابي ودلالة على التغيير الذي طرأ على من بيده مقص الرقيب في أكثر من جهة.. سواء نتيجة قناعة أن أسلوب المنع والمصادرة أصبح غير مجدي في ظل الطفرة التي يشهدها العالم في مجال انتقال المعلومات عبر وسائل النشر الالكتروني، أو أنه آن الأوان لتجاوز كل حديث أو طرح يتطرق إلى المعارضة المسلحة التي شهدتها عمان خلال ستينيات والنصف الأول من سبعينيات القرن الماضي، ولم يعد استحضارها يختلف عن ما شهدته البلاد في تاريخها من صراعات على السلطة أو تلك التي خاضتها بعض القبائل ضد بعضها البعض أو ضد السلطة المركزية في مسقط التي كانت تسعى إلىبسط سلطتها على كافة المناطق العمانية بالنار حينا وبالاشتغال على البعد القبلي حينًا آخر.

لا شك أن مؤلف رواية «عودة الثائر» طرق قضية سياسية لم يسبقه إليها أحد من الكتاب العمانيين، بل لا أحد كان يجرؤ على الاقتراب منها، وبذلك فتح الخنبشي باب المغامرة أمام الكتاب العمانيين للكتابة عن هذه المرحلة المهمة جدا من تاريخ عمان الحديث لرفد المنجز العماني السردي بأعمال أدبية ثيمتها الأساسية السياسة تأخذ من تجربة الثورة المسلحة في جبال ظفار خلال ستينيات العقد الماضي موضعا لها، وهو بذلك كسر حاجز الخوف من ارتياد تلك المنطقة الوعرة!